

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى

١٥

عبد الله بن

عمر و بن العاص

فاطيس محمد عزت

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى ١٥

عبد الله بن عمرو بن العاص

بقلم

نانيس محمد عزت

الناشر

مكتبة مصر

لبيع حوائج السحابة
شارع كامل صدق - الغدالة

ت: ٥٩٠٨٩٢٠

عبد الله بن عمرو بن العاص

قال « المُعَلَّمُ عَبَّاس » لولده : لقد كبرت
يا ربيع ، ومن الواجب عليك الآن أن تُساعدَ
أباك ، فتذهبَ معيَ غداً إلى العمل .

بُهِتَ ربيعٌ وقالَ لوالده : أذهبُ معك إلى
العمل ! إنَّ عَمَلَكَ هذا لا يُناسِبُنِي ، ثمَّ إنَّ
عَمَلَكَ الَّذِي تَقُومُ بِهِ لا يُسَمَّى عَمَلاً على
الإطلاق .

اغْتَاطَ أبوهُ وصَرَخَ فيه : لا يُعْجِبُكَ
عَمَلِي ، وأنا أَكْسِبُ في اليوم الواحد أكثرَ

مَنْ مَائَةٍ جُنِيهِ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِطَاعَةِ
وَالِدَيْكَ ، فَهُمَا أَدْرَى النَّاسِ بِمَا يَنْفَعُكَ .

ذَهَبَ رَبِيعٌ إِلَى الْمَسْجِدِ وَهُوَ مَهْمُومٌ ،
يُفَكِّرُ فِيمَا قَالَهُ لَهُ وَالِدُهُ . فَوَالِدُهُ يُرِيدُ أَنْ
يَعْمَلَ مَعَهُ . كَيْفَ ؟ كَيْفَ لَهُ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ
وَيَسْأَلَ النَّاسَ ؟ كَيْفَ لَهُ أَنْ يَعْمَلَ مُتَسَوِّلاً
كُوَالِدِهِ ؟

وَتَذَكَّرَ رَبِيعٌ قَوْلَ وَالِدِهِ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ
بِطَاعَةِ وَالِدَيْكَ . أَيْجِبُ عَلَيْهِ حَقًّا أَنْ يُطِيعَ
وَالِدَهُ ، حَتَّى لَوْ أَمَرَهُ بِالتَّسَوُّلِ ؟

وَبَعْدَ أَنْ صَلَّى رَبِيعٌ الْمَغْرِبَ فِي الْمَسْجِدِ ،
ذَهَبَ إِلَى الشَّيْخِ عَلَى إِمَامِ الْمَسْجِدِ وَسَأَلَهُ :

- والِدِي يَأْمُرْنِي أَنْ أَتَسَوَّلَ مَعَهُ ، وَيُذَكِّرُنِي

بِأَمْرِ اللَّهِ بِطَاعَةِ الْوَالِدَيْنِ ، فَمَاذَا أَفْعَلُ ؟

قَالَ الشَّيْخُ عَلِيٌّ : حَاشَا لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ

قَدْ أَمَرَ بِذَلِكَ . فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا

لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي

الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ .

فَرِحَ رَيْعٌ وَقَالَ : أُمُومِكُنْ أَنْ أَرْفُضَ الذَّهَابَ

مَعَهُ ؟

قَالَ الشَّيْخُ عَلِيٌّ : قُلْ لِأَبِيكَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ

أَكَلِّمَكُمَا مَعًا بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ .

وبعد صلاة العشاء جلس الشيخُ على
يحدثُ المعلمَ عباسًا وولده ، فقال لهما :

- كيف لك أن تأمر ابنك بالتسؤل ؟ ألم
تعلم بأن الله - سبحانه وتعالى - قد نهى
عن سؤال الناس ؟ وأن النبي - صلى الله
عليه وسلم - قال لرجل : (لئن تحتطب
أكرمُ إليك من أن تمدَّ يدك للناس) ؟

قال المعلمُ عباس : إنني أكسبُ من
التسؤل في اليوم الواحد أكثر مما أكسبه
من أيِّ عملٍ آخر .

قال الشيخُ على : قد تكسبُ أكثر ،
ولكنك ستُلاقى ربك يوم القيامة وأنت

أَسْوَدُ الْوَجْهِ مُكْفَهَرُ الْجَبِينِ . ثُمَّ أَخْبِرْنِي ..
أَيُّ طَاعَةٍ لِلْوَالِدَيْنِ هَذِهِ الَّتِي تُرِيدُ ابْنَكَ أَنْ
يَلْتَزِمَ بِهَا ؟ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَأْمُرَهُ بِطَاعَتِكَ
فِي الْخَيْرِ وَلَيْسَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ . إِنَّ عَبْدَ
اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، أَطَاعَ وَالِدَهُ
كَارِهًا يَوْمًا وَاحِدًا ، وَقَضَى مَا بَقِيَ مِنْ
عُمْرِهِ نَادِمًا عَلَى أَنْ فَعَلَ .

قَالَ رَبِيعُ : وَمَا الَّذِي فَعَلَهُ لِيَنْدِمَ عَلَيْهِ
طَوَالَ عُمْرِهِ ؟

قَالَ الشَّيْخُ عَلِيُّ : لَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَابِدًا زَاهِدًا ، لَا يَعْرِفُ
مِنَ الْحَيَاةِ إِلَّا الْمَسْجِدَ وَالْعِبَادَةَ وَقِرَاءَةَ

الْقُرْآنَ ، وَالصَّلَاةَ وَالصَّيَّامَ وَالْجِهَادَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ . فَكَانَ يَصُومُ وَلَا يُفْطِرُ ، وَيَقْرَأُ
الْقُرْآنَ مِنَ الْفَجْرِ إِلَى الْفَجْرِ ، وَكَانَ شَدِيدَ
الْحِرْصِ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ ، فَمَا نَزَلَتْ آيَةٌ
إِلَّا وَكَانَ سَبَّاقًا إِلَى حِفْظِهَا وَفَهَمِ أَوَامِرِهَا
وَنَوَاهِيهَا وَالْعَمَلِ بِهَا . وَكَانَ عَلَى الدَّوَامِ
فِي مُقَدِّمَةِ الْمُحَارِبِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَإِنْ لَمْ
تَكُنْ هُنَاكَ حَرْبٌ فَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ مُدَاوِمًا
عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ . أَتَعْلَمُ يَا رَبِيعُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ
ابْنَ عَمْرٍو لَمْ يَعْرِفْ لِسَانَهُ حَدِيثًا مِنْ أَحَادِيثِ
الدُّنْيَا أَبَدًا ، مَهْمَا كَانَ حَدِيثًا حَلَالًا ؟ فَهُوَ

دائماً أبداً تالياً للقرآن ، أو مُسَبِّحاً بحمدِ
الله ، أو مُسْتَغْفِراً لذنبه ؟

قال رَبِيع : وما هو العملُ الَّذِي يُمكنُ أن
يَندمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ ؟ فهو من الذَّاكِرِينَ اللهُ .
ردَّ عَلَيْهِ الشَّيْخُ عَلِيُّ بِقَوْلِهِ : عَلِمَ الرَّسُولُ
- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بأمرِ عَبْدِ اللهِ ،
فَدَعَاهُ وَسَأَلَهُ : (أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ
لَا تُفْطِرُ ، وَتُصَلِّيُ اللَّيْلَ لَا تَنَامُ ؟) .
ردَّ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بِالْإِيجَابِ .

ولأنَّ الإسلامَ هو دينُ الاعتِدالِ في كلِّ
شَيْءٍ ، فقد نَهَاهُ الرَّسُولُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - عن ذلك ، وقال : (إِنِّي أَصُومُ

وَأُفْطِرَ ، وَأُصَلِّيَ وَأَنَامَ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ،
فَمَنْ رَغِبَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنِّي) .
وَأَمْرُهُ بِأَنْ يَصُومَ صِيَامَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
قَائِلًا : ذَلِكَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ ، يَصُومُ يَوْمًا
وَيُفْطِرُ يَوْمًا ، وَأَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّ شَهْرٍ مَرَّةً ،
وَأَنْ أَرَادَ فَكُلَّ عَشْرَةِ أَيَّامٍ مَرَّةً ، وَإِنْ قَدِرَ
فَكُلَّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مَرَّةً ، وَلَيْسَ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ .

ثُمَّ يَنْهَى الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَدِيثُهُ
مَعَ عَبْدِ اللَّهِ قَائِلًا : افْعَلْ مَا أَمَرْتُكَ وَأَطِعْ أَبَاكَ .

وَتَمَرُّ الْأَيَّامُ وَتَزِيدُ الْفِتَنُ ، وَيَزِيدُ التَّمَرُّدُ
بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَهَذَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ
يَطْمَعُ فِي الْخِلَافَةِ بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ،

وَيَزْعُمُ أَنَّهُ أَوْلَىٰ بِهَا مِنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
— كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ — وَتَنَشَأُ الْحَرْبُ بَيْنَ
الطَّائِفَتَيْنِ . وَمَضَتْ مَوْقِعَةُ الْجَمَلِ وَجَاءَتْ
مَوْقِعَةُ صِفِّينَ . وَيَأْمُرُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ — أَبُو
عَبْدِ اللَّهِ — وَلَدَهُ أَنْ يَخْرُجَ لِلْقِتَالِ فِي
صُفُوفِ مُعَاوِيَةَ ، فَعَمَّرُو دَاهِيَةَ مَاكِرٍ ، يَعْلَمُ
مَدَى حُبِّ الْمُسْلِمِينَ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ ،
وَتَقْدِيرِهِمْ لَهُ ، فَهُوَ يُرِيدُهُ فِي صَفِّهِ لِيَكْسِبَ
جُمُوعَ الْمُسْلِمِينَ مَعَهُ .

وَيَرْفُضُ عَبْدُ اللَّهِ . فَكَيْفَ لَهُ أَنْ يُحَارِبَ
مُسْلِمًا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ
مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا

وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا .

ولكنَّ عمرو بنَ العاصِ يُذكِّرُهُ بأمرِ
الرَّسولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - له بأنَّ
يُطِيعَ أباه فيخرج - عبدُ اللَّهِ - كارها عازما في نفسه
ألا يُحارب .

قالَ المُعلِّمُ عَبَّاسُ : خرجَ عبدُ اللَّهِ لِقِتالِ
المُسلِمينَ رَغَمَ عِلْمِهِ بِحُرْمَةِ ذَلِكَ ، وَهُوَ العابدُ المُتَعَبِّدُ ؟
قالَ الشَّيْخُ عَلِيٌّ : لَقَدْ أَطَاعَ أَبَاهُ فِي أَمْرِ
يَعْلَمُ أَنَّهُ مَكْرُوهٌ حَتَّى لَا يُغْضِبَ أَبَاهُ ، وَلَكِنَّ
تِلْكَ الطَّاعَةَ جَلَبَتْ عَلَيْهِ النَّدَمَ مَا بَقِيَ لَهُ مِنْ
عُمُرِهِ ، فَقَدْ قُتِلَ فِي تِلْكَ المَعْرَكَةِ « عَمَّارُ بْنُ

ياسر» وقد تنبأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - من سبع وعشرين سنة بقوله :
 (وَيَحِ ابْنِ سُمَيَّةَ ! تَقْتُلُهُ الْفِتَّةُ الْبَاغِيَّةُ) . إذن
 فهؤلاء الذين خرج معهم هم الفئة الباغية .
 وهاج عبد الله وماج كيف يحارب مع الفئة
 الباغية ، فينطلق في جيش معاوية مُنذراً
 إياهم أنهم بُغاة . ويسود الوجوه جيش
 معاوية ، ويخاف معاوية من الهزيمة ، ويسأل
 عبد الله : فلم خرجت معنا ؟ ويرد عبد الله :
 لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمرني أن
 أطيع أباي .

وَيُنْقِذُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ الْمَاكِرُ الْمَوْقِفَ
وَقَالَ : إِنَّمَا قَتَلَ عِمَارَ بْنَ يَاسِرٍ الَّذِينَ
خَرَجُوا بِهِ وَحَمَلُوهُ مَعَهُمْ إِلَى الْقِتَالِ .
وَيَسْتَأْنِفُ الْفَرِيقَانِ الْقِتَالَ .

قَالَ رَبِيع : وَمَاذَا فَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ ؟
قَالَ الشَّيْخُ عَلِيٌّ : عَادَ إِلَى مَسْجِدِهِ
وَعِبَادَتِهِ ، وَقَضَى مَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِهِ نَادِمًا ،
فَكُلَّمَا تَذَكَّرَ تِلْكَ الْمَعْرَكَةَ بَكَى وَقَالَ : مَا لِي
وَلِصَفَيْنِ ؟ مَا لِي وَلِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ ؟

وَلَقِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَبَّهُ وَهُوَ
فِي الثَّانِيَةِ وَالسَّبْعِينَ مِنْ عُمْرِهِ ، بَعْدَ أَنْ قَضَى مَا
بَقِيَ لَهُ مِنْ عُمْرِهِ فِي الْمَسْجِدِ ، يَتَضَرَّعُ إِلَى

اللَّهِ وَيُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُ لَذَنْبِهِ .

* * *

قال المعلم عباس : عند ما دعوت ربيعاً
للعمل معي ، كنت أفكر في مصلحته .

قال الشيخ علي : وما هي المصلحة في
التسؤل ؟ دع ابنك يذهب إلى مدرسته ،
ويتعلم ليشب رجلاً عاملاً ينفع المجتمع ،
وليس عاطلاً يعيش عالة على الناس . وأنت يا
معلم عباس ، ألا تحجل من سؤال الناس ؟ إن
بضعة قروش قليلة تكسبها من حلال ، أبارك
من الجنيهاً التي تكسبها متذلاً للناس .

قال المعلم عباس : ولكني لا أعرف أية
مهنة ، ولا أتقن أية صناعة .

قال الشيخُ عليّ : إذا عَزَمْتَ على التَّعَلُّمِ
فذلك أمرٌ سهل . المُهِمُّ هو أن تُريدَ أن تتعلَّم
أى مهنة ، وأنا - إن شاء الله - سأعرفُك
بعض الإخوة الذين يُمكن أن يُعاونوك .
والله وليُّ التوفيق .

قال ربيع : شُكراً جزيلاً لك يا شيخُ
عليّ ، فأنت إنما تقومُ بعملٍ جليلٍ لَن أنساهُ
لك العُمرَ كُلَّهُ .

قال الشيخُ عليّ : لا شكرَ على واجب ،
(والله لأن يَهْدِيَ الله بك رجلاً واحداً خيراً
لك من حُمُرِ النَّعَم) أى الإبل الحُمُر ، وهى
أنفسُ أموالِ العرب .